

فقد علم الله أن كتابه سيثبت الدهر كله على هذا الترتيب المتداول فيسره للحفظ بأسباب كثيرة أظهرها في المنفعة، وأولها في المنزلة هذه السور القصار التي تخرج من الكلمات المعدودة إلى الآيات القليلة، وهي مع ذلك أكثر ما تجيء آياتها على فاصلة واحدة، أو فواصل قليلة، مع ما بين الفاصلة والفاصلة، فكل آية في وضعها كأنها سورة من كلمات قليلة، لا يضيق بها نفس الطفل الصغير وهي تتماسك في ذاكرته بهذه الفواصل التي تأتي على حرف واحد أو حرفين أو حروف قليلة متقاربة فلا يستظهر الطفل بعض هذه السور حتى يلتئم نظم القرآن على لسانه ويثبت أثره في نفسه فلا يكون بعد إلا أن يمر فيه مراراً وهو كلما تقدم وجده أسهل ووجد له خصائص تعينه على الحفظ وعلى إثبات ما يحفظ، فهذا من معاني قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: ٨٢)، وهي لعمر الله رحمة وأي رحمة.

وإذا علمنا أن ترتيب القرآن توفيقى أدركنا فضل الله في تيسير حفظ كتابه على الناس حيث جعل هذه السور آخر القرآن كتابة وهي أول ما يحفظ الصبي من القرآن، وكلما تمرن على الحفظ اتسعت السور واتسع معها ذهن الصبي واستعداده.

وإذا أردت أن تبلغ عجباً من ذلك فتأمل آخر سورة من القرآن، وهي أول ما يحفظه الأطفال، تلك سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، وانظر كيف جاءت في نظمها، وكيف تكررت الفاصلة، وهي لفظة «الناس»، وفيها السين أشد الحروف صغيراً وأطربها موقعاً من سمع الطفل الصغير وأبعثها لنشاطه واجتماعه، وكيف تناسب مقاطع السورة عند النطق بها تردد النفس في أصغر طفل يقوى على الكلام حتى كأنها تجري معه وكأنها فصلت على مقداره، وكيف تطابق هذا الأمر كله من جميع جهاته في أحرفها ونظمها ومعانيها<sup>(١)</sup>.

ويضاف إلى ذلك حكمة أخرى وهي تيسير أداء الصلاة على العامة، فإنهم لولا

(١) إصجار القرآن للرافعي ص ٢٦٢ هامش.